جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الملكة اللغوية وآليات اكتسابها

بين تشومسكي وبياجيه:

دراسة مقارنة

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللّسان

إعداد الطالبة:

- خرمان زينب

إشراف الأستاذ:

شمون أرزقي

السنة الجامعية: 2014/2013

تشكّـرات:

إلى أبي المحترم الذي تعلّمت منه حبّ العلم والإطّلاع منذ الصغر، والذي زرع فيا روح المسؤولية، إلى عائلتي فردا، فردا وخاصة أمي وجدتي.

حفظهم الله لي، وأطال في أعمارهم.

إلى زوجي الذي أعتبره مصدر إلهامي وعامل تفوّقي، فلطالما ساعدني، أدام الله عليه الصحة والعافية.

إلى الأستاذ المشرف والمعلم الذي أكنّ له فائق الاحترام والتقدير، حفظه الله لنا أبا مرشدا.

كما أتمنّى له التدرّج صعودا في العطاء والنجاح آمين.

إهـــداء:

إلى عائلتي وأخواتي الست (حياة، زوهرة، تفات، تيزيري، تنهنان، تنينة)

إلى أخواتي في فرنسا (نادين، وسام ولينا).

إلى أمي الحنون التي جعلت الجنة تحت قدميها

إلى جدّتي، إلى أعظم الرجال احتراما وتقديرا لمهنته بصفة أستاذ، رمز الحب والعطاء الذي تعب من أجل راحتي وراحة أخواتي.

أبي الغالي

إلى كل من يحمل لقب خرمان.

إلى ابن عمي بورنان خرمان الذي تربّينا معا، وشجّعني على دراسة اللغة والأدب العربي.

إلى صديقاتي: سعاد، مريم، حنان، سليمة، كهينة، سوهيلة

إلى صديقي وأخي: عمارة حسين، صاحب القلب الطيّب والمعرفة الواسعة والعقل الراجح

إلى صديقة طفولتي: حنان بوبو، وصديقي وأخي: كريم.

إلى زوجي أديب عبد الغني الذي كان لي نعم الأب والصديق والأخ والمرشد والمساعد.

إلى الأستاذ المشرف المحترم: أرزقي شمون.

إلى كلّ من ساهم بمديد العون لي، جزيل الشكر والتقدير

وإليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله، الحمد لله حمدا كثيرا، نحمده ونشكره حمد العارفين وشكر المؤمنين القانتين تنفيذا لقوله تعالى: «وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»

نسأل الله سبحانه تعالى أن يوفقنا في عملنا هذا، والصلاة والسلام على خير الأنام آخر الأنبياء والمرسلين، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد، فتعد اللسانيات علما جديدا يبحث في اللغة، وفيما له علاقة بها من العلوم الأخرى، بما فيها علم النفس. وفي هذا الاتجاه يصبّ بحثنا هذا الذي موضوعه دراسة اتّجاه كلّ من العالم اللساني (نوام تشومسكي) والعالم النفساني (جين بياجيه). ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى تعلقنا الكبير بهذا النمط من العلم والمعرفة، الذي أسأل الله تعالى التوفيق والنجاح فيه.

يعتبر كلّ من اللسانيات وعلم النفس علمين شيّقين ومهمين رغم وجود كثير من الصعوبات في دراستهما وفي التغلغل إلى لبهما.

ولا يمكننا القول إن اللسانيات وعلم النفس علمان متقاربان بل هما متصلان ببعضهما، فلكلّ منهما خصائصه المميزة، فعلم اللسان يعتمد على التحليل والوصف، في حين يعتمد علم النفس على دراسة الجانب الداخلي للإنسان، فيشمل بذلك مختلف الأمراض النفسية.

هنا لابد من ذكر إشكالية البحث وهي: كيف نظر كلّ من تشومسكي وبياجيه إلى نظرية التعلم؟ وهل بينهما تقارب في وجهتي نظرهما، أم أنّ لكلّ منهما اتجاه يختلف عما ذهب إليه الآخر؟

لقد خصصتُ مدخل هذا البحث لتعريف علم النفس واللسانيات، لما لهما من صلة وطيدة بصلب الموضوع. ففي التمهيد تطرقت لأهمية اللغة ومسألة اكتسابها عند الإنسان والعلوم التي خاضت فيها.

أما في الفصل الأول فتناولت فيه ما جاء به بياجيه من أقوال تدور حول فكرة أن الطفل الصغير يتعلّم بالمحاولة والخطأ دون شرط المعرفة المسبقة.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه ما جاء به تشومسكي في موضوع الملكة اللغوية عند الطفل وهو رأي مناقض تماما لما جاء به بياجيه، وتضمن المبحث ثورته على المدرسة السلوكية.

أما الفصل الثالث فقمت فيه بإجراء مقارنة بين تشومسكي وبياجيه، واتجاهيهما حول الملكة اللغوية وآليات اكتسابها عند الطفل، وفي النهاية كانت الخاتمة التي ضمّنتها جملة من الاستنتاجات المتعلقة بموضوع البحث.

وتجدر الإشارة إلى أنّي خلال رحلتي في البحث، واجهتني مجموعة من الصعوبات على رأسها عدم توفّر الكتب المعالجة لهذا الموضوع، وتشعّب الآراء فيه لكثرة دارسي نحو تشومسكي، وما جاء به بياجيه، إلى جانب أن المراجع الموجودة مكتوبة باللغتين الفرنسية والانجليزية، وهذا يستلزم مني ترجمتها، الأمر الذي يأخذ وقتا طويلا.

غير أن رغبتي في بلوغ هدفي جعلت تلك الصعوبات بمثابة حافز مولّد للرغبة في الاستمرار، خاصة بمعية الأستاذ المشرف المحترم "أرزقي شمون". أما المنهج الذي سرت عليه في ثنايا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي المقارن، لأنه المنهج الملائم لمثل هذا النوع من الموضوعات.

مدخل

تعريف اللسانيات وتطورها:

إن المفهوم العام للسانيات هو: أنها دراسة اللغة علميا، ومصطلح "علمية" أو "علميا" على قدر كبير من الأهمية.

وفي هذا المجال نقول إن الوصف العلمي هو الذي يتم بصورة منتظمة مبنية على الملاحظات التي يمكننا توثيقها بصورة موضوعية، وهذا يتم وفق نظرية عامة تلائم المعطيات المتوفرة.

وليس أصل مصطلح اللسانيات ببعيد في الزمن القديم، فلقد وجدت اللسانيات في أوروبا وأمريكا قبل القرن التاسع عشر، لكنها كانت تخضع للذاتية والتخمين.

وقد تطورت حديثا وازدهرت من خلال المعارضة الواعية للمذاهب التقليدية في دراسة اللغة، فالنحو التقليدي رُفض بصورة كبيرة عند بلوم فيلد وهو أمريكي، وبالتالي تطورت اللسانيات في أمريكا ما بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد ارتبط النحو كثيرا بالفلسفة وبالأدب القديم، وارتبطت اللسانيات بدورها كثيرا بعلوم أخرى مثل:علم النفس، الفلسفة، علم اللغة في عصرنا الحالي[1]، وهذا بفضل أعمال شومسكي الذي قارب بين اللسانيات، والعلوم الثلاثة الأخرى.

وللسانيات أهداف من بينها إيجاد نظرية شاملة بعيدة كل البعد عن النظرية التقليدية، هدفها وصف كل اللغات دون الانحياز للبعض منها.

ومن مبادئ اللسانيات الحديثة أنها لا تفرق بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة.

ومن هنا يعتقد شومسكي أنه بوسع اللسانيات أن تساهم مساهمة فعالة في دراسة العقل البشري.

---

[1] تشومسكي، فلسفة اللغة والفكر، بدون طبعة، ص 11.

ومن اللسانيين البارزين في الدراسات اللغوية "ليونارد بلوم فيلد" فقد فرض عليه التزامه بالمدرسة السلوكية أن يبعد الكثير من المناهج التي تعتمد على الوسائل الذاتية في دراسة اللغة كالاستبطان، ودعا إلى التوسع في جمع المادة اللغوية المدروسة وإخضاعها لتحليل علمي منظم، أما رأي نوام تشومسكي فهو أنه مهما توسعنا في جمع المادة اللغوية، فليس بإمكاننا أن نتعرض لكلّ تركيب لغوي.

تعريف علم النفس:

هناك تعاريف مختلفة، لأن مدارس علم النفس متعددة ومتنوعة ومنها المدرسة التوليدية التحويلية، والمدرسة السلوكية، لذلك سنحاول تقديم التعريف الأقرب إلى موضوع هذا البحث.

إن علم النفس هو الدارسة العلمية للسلوك، ومن هذا المنطلق فإن علم النفس يصف السلوك (ماذا يحدث؟)، كما يحاول تفسير وتوضيح أسباب السلوك (لماذا يحدث؟).

إن عملية وصف السلوك التي تنتج عن الدراسة النفسية ليست عملية عرضية أو غير هادفة، وإنما عملية تهدف في المقام الأول إلى ضبط التحكّم في السلوك والتنبؤ به.

نستطيع أن نقرر أنه مهما تعددت التعاريف فإن موضوع علم النفس هو الإنسان باعتباره كائنا حيا يسعى للتكيف مع البيئة، وما السلوك اللفظي والحركي للفرد إلا محاولات للتكيف، ومن الثابت أن السلوك الظاهري لا يعكس تماما الحالات الباطنية الشعورية والخبرة، كما أن الخبرات الشعورية لا تعكس بدورها الخبرات اللاشعورية في كثير من المواقف.

لذا يجب أن تؤخذ عناصر التكيف والخبرة والسلوك والشعور واللاشعور في تعريف شامل، وعلى هذا يمكننا أن نعرّف علم النفس بأنه: العلم الذي لا يدرس السلوك فحسب إنّما توجد كذلك الخبرة الشعورية واللاشعورية من حيث كونها محاولات لتكيف الفرد مع بيئته.

ويدرس علم النفس ثلاثة اتجاهات هي: السلوك اللفظي أو الحركي، الذهني أو الوجداني، وأخيرا الانفعالات.

ويمكن أن نقول إن تحديد الظاهرة النفسية أمر صعب، والسبب في ذلك هو كونها شديدة التشعّب والتعقيد، فمن الصعب الولوج إلى نفسية الفرد ومعرفة خباياها وأبعادها المتعددة ومنها: الأمل والغضب، الذكريات والأحاسيس المختلفة، الاضطرابات الفيزيولوجية، واضطرابات التنفس، وضغط الضمير ورواسب مرحلة الطفولة... إلخ، ولا يمكن نسيان اجتماع الخبرة مع السلوك، لأن علم النفس ليس السلوك وحده.

علاقة علم اللغة بعلم النفس:

قال أرسطو قديما إن الإنسان حيوان ناطق، لأن اللغة هي أرقى ما ينفرد به الإنسان عن غيره من المخلوقات، والإنسان بإمكانه أن يعبّر عما يخالج صدره من أحاسيس ومشاعر وما يمرّ بفكره من أفكار وآراء، وذلك باستعماله اللغة.

وبالتالي فلغة الإنسان تختلف اختلافا جذريا عن كلّ لغات الحيوانات الأخرى، فلغة الإنسان تعتبر وسيلة للتواصل، وأساس الحضارة البشرية.

ومن هنا اهتمّ علماء النفس بتأثير العادات اللفظية على أنواع أخرى من السلوك منذ ظهور علم النفس كعلم قائم بذاته.

كما درس علماء النفس الأمريكيون علاقة اللغة بالتعلم، الذاكرة والتفكير. ويرى معظم الباحثين أن اللغة هي الدراسة العلمية للكلام، فاللغة تدخل في أصل معظم العلوم الإنسانية، ومن ثم ظهرت علوم كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم النفس اللغوي، وبما أن اللغة تعتبر مظهرا من مظاهر السلوك الإنساني، فقد اهتم بها علماء اللغة، وعلماء النفس معا.

ومن هنا نجد التقاء بين التخصص الأول والتخصص الثاني.

فعالم اللغة يُعنى بدراسة اللغة بعيدا عن النفس والمشاعر، وعالم النفس يدرس اللغة كسلوك باستخدام الأساليب السيكولوجية.

ويقوم علماء النفس وعلماء اللغة بالتعاون لدراسة هذه المشاكل اللغوية التي لها علاقة بعلم النفس.

نعم نقرّ بوجود اختلاف بين علم النفس واللسانيات من خلال وجهات النظر، لكن المفكر تشومسكي يصرّ على وجود روابط هامة بينهما.

تمهيد

أهمية اللغة ومسألة اكتسابها لدى الإنسان والعلوم المتعددة التي خاضت فيها:

إن اللغة تلازمنا منذ ميلادنا، وكأنما هي جزء ولد معا، ويمكن اعتبارها تطورا بيولوجيا أشبه ما يكون بالنوم والأكل والمشي وما إلى ذلك.

وبما أن الإنسان يستخدم اللغة دون كثير من إعمال الفكر فهو إذن لا يوليها أهمية.

[1]وأما في عصرنا الحالي فتظهر قيمة اللغة، وكثير من العلماء درسوها، والسبب أنها واسعة النطاق لأن للغة علاقة وطيدة بكثير من العلوم، وهذا ما يوسع دائرة الاهتمام بها لدى العلماء، والدليل على ذلك أننا نعيش عصر الكلمة سواء المنطوقة أو المكتوبة.

فاللغة تعتبر وسيلة للتواصل وهذه هي أهميتها، وتستخدم كذلك للتعبير عن المشاعر والأحاسيس ونقل الأخبار والمعلومات، كما تستخدم كذلك في المراسم الاجتماعية والشعائر الدينية ...إلخ[2] وللإشارة فإن أهمية اللغة لم تبدأ بالظهور بشكل واضح إلا بعد اختراع الطباعة، في أوروبا خلال القرن الخامس عشر، وكان لذلك كثير من الأهمية في انتشار اللغة المكتوبة.

تعتبر اللغة في غاية التعقيد، فرموزها صعبة التفكيك، وهذا ما جعل علماء النفس يذهبون لمحاولة فك هذا الإبهام بدراسة البنية العميقة للغة، حيث سارعوا إلى إعادة النظر في النظريات السابقة عن كيفية اكتساب الطفل للغة الأم.

ومن هنا نصل إلى أن لعلم النفس علاقة باللغة، فهي تحتاج إليه، ليفك رموزها.

تربط علاقة مهمة بين اللغة وعلم الأصوات أيضا، لأن أصل اللغة أنها مجموعة من الأصوات تؤدي وظيفة التوا2ل، فتربط بين ثلاثة أطراف هي (المرسل، الملتقي، الرسالة).

---

[1] نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 1978، ص 60.

[2] المرجع نفسه، ص 61.

إن اللغة تعتبر محور الدراسات الإنسانية، فلقد بينا قبلا أن اللغة بالنسبة إلى المجتمع، هي بمكانة القلب من الجسم البشري.

أما فيما يخص علاقة الدماغ باللغة والنطق، فيشترك في دراستهما اللغوي، وعالم النفس والطبيب المختص بالجهاز العصبي، ولا ننسى علماء الرياضيات الذين زاد اهتمامهم باللغة على أساس أنها أهم وسائل التواصل، فهم يدرسونها من حيث الطريقة الرياضية التي تتحكم في صياغة الرسالة في فك رموزها.

وعلى أساس أن اللغة من أهم مقومات المجتمع فإن لعلماء الاجتماع، والمتخصصين في علم اللغة الاجتماعي اهتماما لا يقل أهمية ودرجة عن العلماء في الاختصاصات السالفة الذكر إلى جانب تخصصات أخرى كالنقد والأدب على سبيل المثال.

نحن نعلم [1]أن ما يتميز به الإنسان عن غيره من أنواع الحيوان هو قدرته على استخدام اللغة، لا موهبة الذكاء أو التفكير، كما قد يوحي بذلك مصطلح homo-species ومعناه باللغة العربية النوع الإنساني بوصفه كائنا حيا.

وبالحديث عن الفكر وعلاقته باللغة، فلقد خاض الفلاسفة وعلماء النفس في جدل واسع عما إذا كان الفكر يتجسد في الكلام أم في الكتابة.

وسواء أكان هذا صحيحا أم غير صحيح، فالذي لاشك فيه هو أن للغة أهمية حيوية في كافة أنواع النشاط الإنساني.

[1] جون ليونر، نظرية تشومسكي اللغوية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية سنة 1985، ط1، ص 17.

الفصل الأول

نبذة عن حياة بياجيه:

[1]ولد جان بياجيه في نيوشتال سويسرا في التاسع من أغسطس من عام 1896م، وكان نبيها منذ الصغر، وظهرت عبقريته مبكرا، وأظهر اهتماما كبيرا بعلم الأحياء، وقد عين وهو في السادسة عشر من عمره مدير المتحف التاريخ الطبيعي في جنيف، ثم درس التاريخ الطبيعي في جامعة نيوشتال، وفي عام 1916م نشر أول بحث له، ثم نال درجة دكتوراه في التاريخ الطبيعي وهو في الحادية والعشرين من عمره، ثم حول اهتمامه وطاقته لدراسة تطور الفكر ونموه عند الأطفال، وقرأ فلسفة المعرفة بتوسع وأخذ يفكر باهتمام شديد في عالم المعرفة، وخاصة فيما يتعلق بكيفية اكتساب المعرفة والتعلم عند البشر، وفي اعتقاده أن النمو المعرفي يرتكز على الجوانب البيولوجية والسلوكية، ولهذا تحول إلى علم النفس.

عمل بياجيه بعد تخرجه من معمل بينيه Binet لاختبارات الذكاء في باريس لعدة سنوات، حيث خبر الأطفال وقدراتهم الذكائية المختلفة، وتمرس في تطوير اختباراتها، كما لاحظ الفروق الفردية في إجابات الأطفال على أسئلة القدرات الذكائية نتيجة تنوع مراحلهم العمرية.

لقيت أفكار بياجيه في علم النفس انتشارا وبالخصوص في هذه الفترة، إذ انتقل من معمل بينيه إلى معمل جون جاك روسو في جنيف بسويسرا، حيث تمكن من متابعة أبحاثه العيادية مع الأطفال في مجال الذكاء والقدرات الإدراكية كما استطاع تطوير نظريته في علم النفس المعرفي إلى حدودها النهائية المتداولة الآن.

[1] يحيى بن عبد الرافعي، نظرية بياجيه في النمو المعرفي، ص 1.

والجدير بالذكر أن نظرية بياجيه قد تمت بدرجة رئيسية بناء على نتائج الملاحظات والدراسات التجريبية التي قام بها مع زوجته وأطفالها الثلاثة أيضا، اعتمد في دراساته على الطريقة العيادية أو الإكلينيكية.

توفي بياجيه في أواخر سبتمبر 1980م، بعد أن ساهم بدراساته الواسعة والأصلية في حقلي علم النفس والتربية، وترك مجموعة من المؤلفات والكتب والمقالات عن النمو المعرفي عند الأطفال[1].

أساسيات نظرية بياجيه:

يرى أن ما ينظم نمو الذكاء هو نفس العمليات التي تحدد الشكل العام للإنسان، والتغيرات في فيزيولوجيا جميع الأنظمة الحية.

يؤكد على الوصف الدقيق لمستويات الفهم أو مراحل التطور المعرفي عند الأفراد حيث يحاول اقتفاء أثر انتقال الإنسان من مرحلة تطور معرفي إلى أخرى.

[2]من خلال مبادئ الموازنة يستطيع الإنسان أن يكون فهمه أكثر دقة للعالم من حوله، وهذه هي مبادئ التعلم من وجه نظر بياجيه.

إن النمو المعرفي حصيلة التفاعل بين عوامل النضج البيولوجي والبيئة الطبيعية والاجتماعية والتوازن، لأن الطفل من خلال هذا التفاعل يكتسب الخبرات المباشرة الناتجة عنه، ويتعلم كيف يتعامل مع هذه البيئة، ويكتسب أنماطا جديدة من التفكير بدمجها في تنظيمه المعرفي، وقد تسقط ما قبلها من الأنماط الأقل نضجا أو تعدلها لتنتظم داخل النمط الجديد.

---

[1] المرجع السابق، ص 2.

[2] علي راجع بركات، نظرية بياجيه البنائية في النمو المعرفي، قسم علم النفس، جامعة أم القرى

ليس التطور المعرفي تطورا بل كيفي في أساليب التفكير ووسائله يخضع لتتابع متدرج، له فئات أعمار تقريبية لكل منها خصائص مميزة.

لا يمكن تعلم المفهوم المحدد إلا إذا كان الطفل قد اكتسب الكفاءة العقلية للربط بين المعلومات المتناثرة، وهذه الكفاءة تنجم عن عملية تجريد التأمل التي تعتمد على تطوير الذكاء الذي يتجاوز نطاق الخبرة بالمفاهيم المتشابهة، وتطور الذكاء كنظام وظيفي يضع الحدود لما يمكن أن يتم تعلمه.

إن التطور هو عملية زيادة الوعي وحساسية الإنسان للطريقة التي تستطيع نشاطته وأفكاره الإسهام بها في إقامة بناء إيجابي أكبر مرونة وتكيفا لهذا العالم، بصرف النظر عما إذا كان لهذا الوعي أية علاقة بالحقيقة المطلقة أم لا.

من القضايا الرئيسية أن التعلم الذي له معنى أو التعلم الحقيقي، هو التعلم الذي ينشئ التأمل أو التروي، فالتعزيز عند بياجيه لا يأتي من البيئة كنوع من الحلول بل إن التعزيز ينبع من أفكار المتعلم ذاته.

بالنسبة إلى قضية قياس التعلم فإن نظرية بياجيه أقرب إلى نظرية "تولمان" منها إلى نظرية "هل"، فالطفل عندما يتعلم كيف يجد شيئا تم إخفاؤه حديثا تحت صندوق ما قد تعلم الخريطة المعرفية للأشياء العديدة الموجودة في المجال، فالطفل تعلم أكثر من مجرد الاستجابة التي ينبغي له تقديمها في وجود مثير معين[1].

هناك أشياء يتعلمها الطفل وهو في طور نموه، لا يمكن تفسيرها عن طريق المحددات المادية والاجتماعية والنضجية ويطلق عليها بياجيه عملية الموازنة.

[1] المرجع السابق، ص 2.

هناك أشياء في عملية الموازنة موروثة، من خلالها يستطيع الطفل أي يربط بين المعلومات التي يتلقاها بطرق تؤدي إلى الحد من التناقض.

وفي قضية الشرح والتفسير، اهتم بمعرفة كيف يتعلم جميع الأطفال تصحيح الأخطاء على هدى من تفكيرهم، فعملية إجابة الطفل على سؤال ما تفسر بملاحظة بنية هذه العملية وتطويرها عبر فترة زمنية تمتد عدة سنوات، [1]فمجرد وصف عملية التغير تشكل في حد ذاتها تفسيرا لهذه العملية.

ومن المفاهيم الرئيسية التكيف الذي اعتبره نزعة العضوية إلى مواءمة نفسها مع البيئة التي تعيش فيها الطفل.

إن الإسهام الحقيقي لبياجيه يتمثل في وصف طبيعة تكيف العضوية المعروف لدى علماء الأحياء منذ أكثر من مئة عام وفي تجزئته إلى: (التمثل أو الاستيعاب، المواءمة) وهما عمليتان ديناميكيتان متفاعلتان للتكيف.

تتضمن عملية التوازن نوعين من الاستجابات هي:

أ- التمثل أو الاستيعاب، وهو عبارة عن الطريقة العقلية التي يقوم فيها الفرد بدمج الأمور الإدراكية الجديدة أو الأحداث المثيرة، في المخططات العقلية الموجودة عنده، وهو عملية تحويل الخبرات والأفكار الجديدة إلى شي يناسب التنظيم المعرفي الذي يمتلكه الفرد ودمجها في هذا التنظيم. فالتمثل بهذا المعنى هو تكييف للواقع الخارجي مع البيئة المعرفية القائمة عند الفرد.

([1]) المرجع السابق، ص2.

ب- المواءمة أو الملاءمة، وهي نزعة الإنسان إلى تعديل وتغيير في بناه العقلية وأنماطه المعرفية السائدة (الاستراتيجيات المخزنة)، لكي يتكيف مع مطالب البيئة الخارجة، بمعنى أنه يتم تكيف النمط المعرفي للفرد ليتلاءم مع عناصر البيئة الخارجية، فعندما يصحح الطفل قاموسه اللفظي فهو يقوم بالمواءمة.

أنماط الحفاظ عند الطفل:

أ- حفظ العدد: يبقى عدد عناصر المجموعة كما هو حتى لو أعيد ترتيبها (6-7 سنوات).

ب- حفظ المادة: تبقى كمية المياه كما هي حتى لو اختلف شكلها (7-8 سنوات).

ج- حفظ المساحة: تبقى كمية السطح التي تغطت بأرقام معينة كما هي بغض النظر عن ترتيب هذه الأرقام (8-9 سنوات).

د- حفظ الوزن: يبقى وزن الشيء كما هو حتى لو تغير شكله (9-10 سنوات).

هـ- حفظ الحجم: تبقى كمية سائل ما ثابتة، بغض النظر عن الشكل الذي يأخذه السائل (أكثر من 10 سنوات) أي يبقى حجم المادة ثابتا رغم اختلاف الشكل.

تعرف العمليات العقلية بأنها تراكيب معرفية وضعت في عمل ما، أو هي أدوات التفكير، فعندما يفكر الطفل، فإنه يقوم بعملية عقلية، حيث يضع التركيب المعرفي موضع التطبيق، ويفكر ويناقش ويتساءل، لأنه يقوم بأداء إجراء عقلي.

[1]القيام بالعمليات العقلية يتطلب استخدام الرموز، وهذا اللون من التفكير يدخر لدى الأطفال إلى ما وراء المرحلة قبل الإجرائية أو الحدسية، وأهم صفة مميزة للإجراء (العملية العقلية) هو الإمكانية العكسية.

[1] المرجع السابق، ص 3،4.

تشير الوظيفة العقلية إلى العمليات التي يلجأ إليها الفرد عند تفاعله مع مثيرات البيئة التي يتعامل معها وهي ثابتة لا تتغير عند الإنسان وبالتالي فهي مورثة.

الأنماط المنتظمة من السلوك هي الدليل الملاحظ للإجراءات الفعلية، فالطفل يستخدم التراكيب أو الأبنية العقلية للقيام بوظائف عقلية تمكنه من أداء السلوك الذي تحل به المسألة، ويمكن إعادة هذا النمط المنتظم من السلوك بسهولة في المواقف المشابهة.

يشير اللاتمركز إلى القدرة على اعتبار أكثر من عامل واحد في الموقف النفسي، ففي مناقشة المحافظة أو الثبات يجب أن يكون الطفل قادرا على اعتماد الشكل أو المقدار أو الحجم في آن واحد معا، فسوف يذهب الطفل قبل سن المدرسة إلى أن الإناء الطويل يحتوي على ماء أكثر لأنه يركز على الارتفاع وحده، والتصنيف لأكثر من متغير لا يمكن أن يتحقق ما لم يتحقق اللاتمركز، ويمكن أن يكون الطفل قادرا بدون اللاتمركز على تصنيف الحيوانات كالقطط والكلاب، ولكن لا يكون[1] قادرا على تصنيفها إلى كلاب بيض وسود وقطط بيض وسود ما لم يكن قادرا على أن يأخذ بالاعتبار أكثر من صفة مميزة.

الدافعية في الحاجة الداخلية التي تكون من داخل البنية أو النظام وليس من خارجه، لأن الأبنية العقلية قبل التطور والتوظيف، تديم أو تؤيد نفسها عن طريق التوظيف الكثير في تأثيرات التمثل والملاءمة حيث يوجد اتجاه داخلي للتمثل وملاءمة البنية العقلية.

يميز بياجيه بين نوعين من المعرفة هما:

أ) المعرفة الشكلية: وهي معرفة المثيرات، وتعتمد معرفة الأشكال بالتعرف على الشكل العام للمثيرات.

[1] المرجع السابق، ص 4.

ب) معرفة الإجراء: وتنبع من المحاكمة العقلية بعكس المعرفة الأولى، والتقدم الذي يحرزه الطفل عبر مراحل يقرر قدرته على التكيف مع البيئة، ويعني التفاعل مع الخبرة والنضج.

ويشير بياجي إلى أن هناك أربع مراحل رئيسية في النمو المعرفي وهي:

1-المرحلة الحسية الحركية.

2-المرحلة ما قبل الإجرائية.

3-مرحلة العمليات المادية.

4-المرحلة المجردة أو الفترة الإجرائية الصورية.

ويظهر الفرد في مرحلة التفكير الشكلي الأنماط التالية:

أ- التفكير التوافقي.

ب-التفكير التناسبي

ج- التفكير الاحتمالي.

د- التفكير الارتباطي.

هـ-التفكير الافتراضي.

يشير بياجيه إلى الاستدلال، وهو البحث العقلي النشط.

كل مفهوم مكتسب ينطوي على الاستدلال القائل بانتقال الاستجابة إلى مثير جديد.

التنظيم الذاتي هو جوهر الموازنة، وهو يختلف عن طريقة المثير والاستجابة.

هناك ثلاثة مستويات للفهم عند بياجيهوهي كما يلي:[1]

أ- المستوى الأول: ينكر فيه الطفل حدوث الاضطراب أو التناقض.

[1] المرجع السابق، ص 10.

ب- المستوى الثاني يعترف فيه الطفل بوجود الاضطراب، لكنه لا يكون قادرا على التعويض عنه تماما.

ج-[1]المستوى الثالث: يستطيع فيه الطفل أن يعترف بالاضطراب وبالتعويض عنه تماما.

يهتم بياجيه بآلية التغذية الراجعة فالطفل يصل إلى زجاجة الرضاعة ويقبض عليها ويحضرها إلى فمه ويمصها، وكل هذا يمكن أن يتكرر.

يختلف بياجيه مع وجهة النظر الآلية الميكانيكية للتغذية الراجعة التي تفترض أن الكائن الحي حساس بصورة آلية للتغذية الراجعة.

كل طفل في كل مرحلة عمرية يعرف بعض الأمور عن بعض الأشياء، ولكن ليس متأكدا من صحة معارفه وآرائه.

العوامل التي تسبب حدوث نمو الذهن هي التالية:

أ- عامل النضج العصبي[2]بما أن الجهاز العصبي هو المسؤول عن التفكير وما يرافقه من إجراءات فإن عملية النضج البيولوجي تترافق مع عملية نضج الجهاز العصبي، وقابلية الطفل للتفكير تزداد بازدياد عمره أي نضجه.

ب-الخبرات الفيزيائية: نتيجة للنمو البيولوجي يستطيع الطفل الحركة وبذلك ترداد قدرته على الاستكشاف والتفحص.

ج- الخبرات الاجتماعية: تنجم عن التفاعلات المتبادلة بين الطفل وأقرانه، وهكذا يتعلمون مع بعضهم البعض ولهذا العامل علاقة[3] بالمركزية في التفكير.

د- التوازن: تكون طبيعة الفرد في حالة توازن، ويختل هذا التوازن بوجود منبهات خارجية.

---

[1] المرجع السابق، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] المركزية: اعتقاد الطفل بصحة رأيه في سنوات عمره الأولى، ص 13.

المصطلحات الرئيسية في نظرية بياجيه:

1- الذكاء intelligence: عرف بياجيه الذكاء كما تحدده اختبارات الذكاء، ويرى أن الذكاء يسمح للكائن الحي بالتغير المستمر والتفاعل بين الاثنين يجب أن يتغير هو الآخر تغيرا مستمرا، وأن النشاط العقلي يميل دائما لخلق الظروف المثالية لبقاء الكائن الحي في حالة اتزان تحت الظروف القائمة، وأن الذكاء بوصفه نشاطا عقليا يتغير عندما ينصح الكائن الحي وعندما يكتسب خبرات جديدة في حياته، وبعبارة أخرى يرى بياجيه أن الذكاء هو (عملية تكيف).

2- الاستراتيجيات stratégies: عرفها بياجيه بأنها القدرة الكامنة لدى الفرد، وهي الطريقة التي يستطيع الطفل من خلالها أن يتعامل مع المتغيرات البيئية خلال مراحل نموه من أجل حدوث تفاعلات جديدة بينه وبين البيئة.

وتتغير هذه الاستراتيجيات تبعا لنضج الطفل وما يكتسبه من الخبرات، وتعتبر الاستراتيجيات في غاية الأهمية في نظرية بياجيه، حيث يمكن اعتبارها عنصرا هاما في البناء المعرفي للكائن الحي.

استجابيته للبيئة الطبيعية:

يسمي بياجيه الخصائص الثابتة بالثوابت الوظيفية، أما المقصود بها فهو طريقة التعامل مع البيئة، هذه الطريقة واحدة وثابتة سواء في مستوى التكيف البيولوجي أو العقلي.

3- التكيف: [1]يعتبر الثابت الأول من الثوابت الوظيفية التي أشار إليها بياجيه، ويتضمن التكيف عمليتين هما التمثيل والمواءمة والمقصود به طريقة التفاعل مع العالم الخارجي.

[1] يحيى بن عبد الله الرافعي، نظرية بياجيه في النمو المعرفي، ص 4.

4- التمثيل assimilation: هو عملية معرفية لوضع أحداث أو مثيرات جديدة في مخططات موجودة فعلا، وليس عمل التمثيل تغير المخططات لكن يؤثر فيها، ويمكن للفرد أن يشبه المخطط بالبالون، والتمثيل بعملية إضافة هواء أكثر إلى البالون، فالتمثيل إذًا جزء من عملية يتكيف بها الفرد معرفيا، وينظم به بيئته.

5- المواءمة: accommodation يعني بها بياجيه ملاءمة الأبنية العقلية للخبرات الجديدة، وهي التعديل في بنية العقل ومعارفه عن العالم، حيث يمكن الفرد من استيعاب الخبرات الجديدة، ويعتبر بياجيه أن الحياة العقلية عملية مواءمة أو ملاءمة مع البيئة، والمواءمة تعبر عن الارتقاء أي ارتقاء البني التركيبية.

6- التنظيم: organisation [1]هو الثابت الوظيفي الثاني الملازم لعملية التكيف، والذي يظل موجودا خلال جميع مراحل النمو العقلي، ويسميه بياجيه بالأبنية والتراكيب العقلية وإن كانت تختلف من مرحلة لأخرى، فإنها تظل دائما أبنية منظمة، ولا ينفصل التنظيم عن التكيف، فهما عمليتان متكاملتان.

7- الأبنية العقلية: عبارة عن تمثيلات داخلية لفئة من الأفعال أو أنماط الأداء المشابهة[2]، وهي كذلك التنظيمات التي تظهر خلال أداء العقل لوظائفه، تتغير أثناء النمو الارتقائي للفرد، ويمكن أيضا أن تعرف بأنها استجابة لمثير معين.

8- التوازن: هو نجاح الفرد في توظيف إمكاناته مع متطلبات البيئة حوله، أو هي عملية تقدمية ذات نظام ذاتي، تهدف إلى تكيف الطفل مع البيئة، وهو عملية تساوي وتعادل بين التمثيل والمواءمة.

---

[1] المرجع السابق، ص 5.

[2] المرجع نفسه، ص 6.

ويكاد يتسق مفهوم التوازن لدى بياجيه مع مفهوم اللغة عند فرويد، أو تحقيق الذات عند ماسلو.

نستنتج من هنا أن كل المصطلحات السابق ذكرها وهي لبياجيه لها علاقة مع بعضها البعض، وكل مصطلح له علاقة بالبيئة وبتحقيق الذات.

الفصل الثاني

اللسانيات ونظرتها إلى اكتساب الملكة اللغوية، أنموذج تشومسكي:

بدأ تشومسكي بحثه في اللسانيات وعلاقتها بعلم النفس من خلال مراجعة كتاب ب. ف سكينر الذي بعنوان السلوك الكلامي، ويعتبر سكينر من أبرز دعائم علم النفس السلوكي.

وما قام به تشومسكي أبرز تمكنه من موضوعات علم النفس، وليس اللسانيات فحسب، وقد قام بذلك من خلال التمحيص الدقيق لهذا الكتاب.

يقول تشومسكي إن اللغة تتميز بخاصية الإبداع والتجديد، وقدم مثالا عن الطفل الذي ببلوغه سن الخامسة أو السادسة، بإمكانه أن يفهم عددا لا متناهيا من الجمل، حتى وإن لم يكن سمعها من قبل، وهذا يعني أن تشومسكي يقر بأن الطفل لا يكتسب اللغة في الواقع، إنما هي مولودة معه، ولا يقوم إلا بتصحيح ما فيها من أخطاء، ويتحدث تشومسكي عن مصطلحات (كالحافز، الاستجابة، العادة، التألم، التعزيز)، يقول عنها إنها مصطلحات سائبة، بعيدة عن المحتوى التجريبي. ويقول إن النحو في كل لغة هو وصف مثال للمقدرة اللغوية (compétence).

فلمفهوم النحوية علاقة بالحقائق النفسية مثل تصور الذاكرة، وضعف الانتباه، وهناك رأي تحدث عنه تشومسكي في كتابه البنى التركيبية، وهو وجود الأخطاء والتشويش في الكلام الفعلي، ومن أمثلة ذلك التردد أثناء الكلام، أو سوء النطق، وغيرها، وكلها ذات علاقة بعلم النفس واللغة، والملكة اللغوية.

نوام تشومسكي: حياته ومؤلفاته:

نوام تشومسكي هو مؤسس النظرية التوليدية التحويلية في اللسانيات الحديثة، ولد سنة 1928 في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدا في مدينة فيلادلفيا، التحق بجامعة بنسلفانيا حيث تابع دروسه في الفلسفة، اللسانيات، الرياضيات، تحصل فيها على دكتوراه.

وبعد ذلك عين أستاذا للسانيات بمعهد ماسشوستس التكنولوجي، ولا يزال يشغل هذا المنصب إلى يومنا هذا.

التقى بالأستاذ جوريس هال سنة 1951، وهو ألسني قام بمساعدته كما رومان جاكبسون في الحصول على مركز باحث في المختبر الإلكتروني، وهناك درس الألمانية والفرنسية.

درس السلوك الكلامي في مجلة "اللغة" سنة 1959، حيث يبرهن أن النظرية التي ارتكز عليها المذهب السلوكي كالحافز وتقويته والمثير والاستجابة تحدد على نحو دائري.

وله كذلك دراسة حول اللسانيات الديكارتية، سنة 1966م، وفيها تحدث عن النظرية الكلاسيكية ونظرية العمليات العقلية المرافقة لها.

كما ألّف أيضا كتاب البنى التركيبية سنة 1957م وكتاب مظاهر النظرية التركيبية عام 1965م، وأخيرا كتاب "الدراسات الدلالية في القواعد التوليدية" سنة 1972م.

[1]وهو عضو في عدة جمعيات علمية لغوية وغير لغوية مثل: الجمعية الأمريكية للتقدم العلمي والأكاديمية القومية للعلوم والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، وعضو مراسل للأكاديمية البريطانية.

[1] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية، التحويلية، ص 11.

مفهوم الفطرة اللغوية:

يقصد بها تلك الملكة التي منحها الله للإنسان، فتمكن بها من إنتاج وتوليد اللغة. حاول تشومسكي أن يفسر عملية اكتساب اللغة عند الطفل من خلال ما أسماه "تحليل المعلومات"، ويقصد بذلك أن ذهن الطفل يقوم باختزال المعلومات وتحليلها والقياس عليها، ومن ثم يستطيع من خلال سماعه لعدد محدود من الجمل توليد ما لا يحصى منها، وهذه المقدرة التي وهبها الله تعالى للإنسان دون سائر الحيوان لا يختص بها جنس دون جنس، ولا أقوام دون أخرى، ومن ثم فإنها تأخذ طابع العالمية.

أسس النظرية الفطرية عند تشومسكي:

الأساس الأول: إن كل طفل في هذا العالم يستطيع بما حياه الله به من قدرة فطرية أن يكون مجموعة من الافتراضات متزايدة في التعقيد، كما أن لديه جهازا عقليا خاصا يميز بفطرته الأمور العامة التي تحكم أنظمة اللغات، أي أنه يتمكن من معرفة ما هو داخل في لغته وما هو خارج عنها.

الأساس الثاني: يقتصر عمل الطفل في مراحل توليده المبكرة للغة على تحديد الإطار العام للغته وتمييزه من بين سائر الأنظمة اللغوية، أو ما يطلق عليه اللغة الكلية، وهنا نستطيع القول بأن الطفل قد تمكن من الانتقال من مرحلة "language" إلى مرحلة "langue" وفق مصطلح دي سوسيور، أي أنه ينتقل بذلك من اللغة الإنسانية إلى لغته المحددة، وليتم عملية الانتقال تلك يعتمد الطفل على ثلاثة نظم هي التالية:

أولا: النظم الأساسية، ويقصد بها مجموعة العناصر اللغوية التي يستخدمها الطفل على نحو مطرد، وذلك مثل مجموعة الأسماء والأفعال والأدوات التي تشكل الثروة اللغوية أو ما يعرف بالكنز اللغوي.

ثانيا: النظم الشكلية، وهي مجموعة من القوانين والخواص العامة والمشتركة في سائر اللغات، وذلك مثل قوانين المماثلة والمخالفة، وغير ذلك من القوى التي تعمل بصورة دائمة وعامة في جميع اللغات كتكوين الجملة من الفعل والفاعل أو من الفعل والفاعل والمفعول به. فمثل هذه القواعد العامة يمكن أن يطبقها الأطفال على اللغة التي يسمعونها، وعلى ذلك فإنهم يقومون بتجريد الملامح التي يرتبط بها بناء مقدرتهم وكفاءتهم النحوية.

ثالثا: النظم الإجرائية ويراد بها مجموعة القواعد العامة التي ترتب كيفية تطبيق القوانين السابقة وتنفيذها، كما تقوم بتنظيم العلاقة بين المستويات اللغوية، (الصوتي، والمستوى الصرفي والنحوي والدلالي)، وتتناول هذه النظم الإجرائية كيفية الربط بين القوانين بعضها بعضا، كما تنظم كيفية العلاقة بين النظم اللغوية المختلفة.

الأساس الثالث: ويتمثل في أن كل طفل يستطيع بصورة طبيعية أن يميز بين بنيتين مختلفتين للغة وهما: البنية العميقة والبنية السطحية، كما أنه يلم بالقواعد التي تحول البنية العميقة المخزونة ذهنيا إلى تجسيد أدنى، أي تركيب سطحي، وهذا يساعد الطفل على تكوين فرضيات عقلية، أو ذهنية يستخلصها من الكلام الذي يسمعه، والذي يتألف عادة من خليط غير مفهوم من الأصوات، ويبدأ بتعديل هذه الفرضيات تدريجيا.

المصطلحات النفسية في النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي:

1- الكفاية: هي القدرة التي يمتلكها المتكلم المستمع المثالي للغة، والتي تخول له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغة بيئته الأولى، اعتمادا على الإمكانات الكامنة عنده، حتى إنه يستطيع بالمختزن الذي لديه الذي يسميه "السكاكي" (خزانة الصور)، أن يفهم جملا ووحدات إسنادية لم يسبق له أن سمعها أو قرأها.

[1]والكفاية بمثابة ملكة لا شعورية، تجسد العملية الآنية التي يؤديها مستعمل اللغة.

2- الأداء أو التأدية: إن الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي في الظروف المحسوسة، وهو تحقيق اللغة وتنفيذها فعليا، أي نقلها إلى حيز الاستعمال الشفوي أو الكتابي، ويتمثل الأداء في استعمال اللغة وإنتاج جمل تبدو في فونيمات ومورفيمات.

3- الحدس:

4- الإبداعية:

5- القدرة:

6- الاستعداد:

7- المهارة:

8- النحو العالمي:

نمو الطفل اللغوي:

1- الطفل واللغة:

لم تكن الأصوات التي يصدرها الأطفال في العصور الماضية محط اهتمام العلماء والباحثين، ولم يقوموا بإجراء بحوث عليها، إلى أن وصلت النظرية التوليدية التحويلية التي تمت في دراسة لغة الطفل في المحيط الذي نشأ وتربى فيه، وهذا باجتماع الجانب السيكولوجي والجانب الألسني، ويرى تشومسكي أنه إذا قمنا بدراسة لغة الطفل[2]، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار الحالة الصحية للطفل بدراسة طبيعة الإنسان وقدراته، وكذلك لا يحتاج

[1] مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 17.

[2] ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 47.

الطفل إلى من يقدم له المادة اللغوية، بل يتعلم عن طريق سماع الجمل ومحاولة نطقها، وهكذا يصل إلى العلم الصحيح بعد التأنيب تارة، والمكافأة تارة أخرى.

إذا نظرنا إلى اللغة التي يتعلمها الطفل من الأم، أو من محيطه فلا يمكننا على وجه التأكيد أن نعتبر ذلك الكلام مادة لغوية تعليمية مثل التي تقدم أو تدرس في المدارس، مثلما يقول تشومسكي: "إن الطفل السوي يكتسب المعرفة باللغة من خلال تعرض شفاف، ومن دون أن يتدرج عبر تمارين متخصصة، فيستطيع من ثم وبدون القيام بأي مجهود يذكر استعمال بنى معقدة وقواعد موجهة للتعبير عن أفكاره وعن أحاسيسه، ويكون دور الباحث بصفة أساسية في إعادة وضع ما قام به بصورة فطرية، من دون أي جهد يلحظ ويفهمه.

في نحو السنة من عمره، ينطق الطفل ببعض الكلمات المنفردة، وفي عمر السنة والنصف أو السنتين يركب جملا مؤلفة من كلمتين متتابعتين أو من ثلاث كلمات، وفي السنة الرابعة من عمره يكون قد اكتسب تقريبا بنى لغته بمجملها.

ففي غضون الثلاث سنوات الأولى تقريبا، يكتسب الطفل المعرفة الأساسية بتنظيم لغته الأم، وهكذا يتوصل إلى إنتاج الجمل في لغته والولوج إلى فهم المعنى وبالتالي يكتسب لغة محيطه.

لدينا إذًا صورة معينة لاكتساب اللغة عند الطفل الصغير، لكن لديه في الواقع وسائله الخاصة لهذا الاكتساب وهي قدراته اللغوية، وفي هذا الصدد يقول تشومسكي: "لقد أصبح واضحا– كما أعتقد أنه إذا وجب أن نفهم في يوم ما كيف تكسب اللغة وكيف تستعمل، لابد لنا حينئذ من أن نضع في سبيل البحث المستقبل والمنفصل، تنظيم معرفة ومبادئ في مرحلة الطفولة الأولى وتقترن بعوامل أخرى متعددة لتجديد السلوك الذي نلاحظه".

فاكتساب اللغة إذًا عمل ذاتي وخلاق ينجزه الطفل في السنوات الأولى من عمره.

إن اللغة عامة معقدة، لاسيما عند الطفل إذا كانت لها خصائص، يقول تشومسكي: "واضح أن اللغة التي يكتسبها كل إنسان هي بنية معقدة ولا يمكن تحديدها عبر المظاهر (اللغوية) المتوفرة والمتجزئة، لذلك يبدو البحث العلمي في طبيعة اللغة صعبا ومحددة نتائجه".

إن عمل الطفل لا يقتصر على اكتساب اللغة فحسب، بل يكتشف بها محتوى الكلام، وأيضا يهدف باكتساب اللغة إلى التواصل اللغوي.

يقول تشومسكي: "إن الذي يتكلم لغة معينة يعلم، على العموم كيف يستعملها للتوصل إلى بعض الأهداف، فتقول إنه يكتسب تنظيم كفاية مراسية ترتبط بكفايته المميزة بالقواعد.

فالكفاية "القواعدية والكفاية المراسية مكونان عائدان للحالة المعرفية المكتسبة".

إن الطفل الذي يكتسب لغة البيئة التي يترعرع فيها يكتسب في ذاته الكفاية اللغوية في لغته، أي أنه يكتسب بصورة ضمنية قواعد اللغة التي تتيح له إنتاج جمل اللغة وفهمها.

وفي هذا الصدد يقول تشومسكي: "إن الطفل الذي اكتسب اللغة قد نمّى (في ذاته) تصورا داخليا لتنظيم من القواعد التي تحدد كيفية تركيب الجمل واستعمالها وتفهّمها... فنقول إنه طوّر في ذاته قواعد توليدية".

كل ما تطرقنا إليه سابقا عن اكتساب الطفل للغة، يجعل منه كائنا يتوصل إلى تنظيم قواعد بالغة التعقيد، تؤهّله لتكلم لغته خلال مدة زمنية قصيرة، وهذا يتم بتعرض الطفل للمظاهر اللغوية المحيطة به.

فإذا تأملنا مليا علاقة الطفل باللغة في مرحلة اكتسابها، نصل إلى إدراك أن ذهن الطفل مهيأ لإتمام عملية التكلم.

وهذه الفكرة توافق رأي اللسانيات التوليدية التحويلية، وهي تخالف مذهب السيكولوجيا السلوكية التي تأثرت باللسانيات البنيوية في إطار اكتساب الطفل للغة.

القواعد الكلية عند تشومسكي:

ارتباط اللغة الكلية بالملكة اللغوية:

إن للطفل مقدرة فطرية على اكتساب اللغة تحدد أسس قواعد اللغة الكلية، ومن هنا نصل إلى أن اللغة ظاهرة إنسانية، أي مختصة بالنوع الإنساني، يقول تشومسكي:

"فإذا ما اعتبرنا أن قواعد اللغة تكوّن تصورا للمعرفة المكتسبة...، فإن الملكة اللغوية يمكن اعتبارها خاصية راسخة في الجنس الإنساني، ومكونا من مكونات العقل الإنساني وخاصية تحول الخبرة إلى قواعد، ونعتقد أن النظرية الألسنية العامة أو نظرية االقواعد الكلية هي كناية عن فرضية مختصة بخاصية الاكتساب"[1].

لطالما وجدنا في كل الكتب أن كل العلماء يجمعون على أن اللغة الإنسانية هي الوسيلة المتيسرة للإنسان لتحقيق عملية التواصل في المجتمع[2]، ولكل لغة خصائص مميزة، كما أن كل لغة تستعمل الجهازين الفيزيولوجي والسيكولوجي الموجودين لدى الإنسان.

إن ما يلفت نظر الباحث هو التشابه الموجود بين اللغات[3] يقرر تشومسكي هنا أن اللغات وإن تنوعت إلى حد كبير فهي تنتظم، في الحقيقة في نفس العمليات الشكلية التي تكون الجمل النحوية، فيتخذ من هذا النوع من التماثل الملحوظ بين اللغات البشرية دليلا كافيا لدعم نظريته الألسنية العقلانية.

---

[1] ميشال زكريا، الألسنة التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] نفسه، ص 73.

فالكفاية اللغوية الفطرية عند الطفل تؤكد وجود الكليات، فالطفل لا يفلح في اكتساب اللغة إلا إذا كانت قواعدها تتناسب مع قواعد الكفاية الفطرية.

واللغة الكلية تزودنا برسم تخطيطي تمتثل له القواعد الخاصة وهنا يقول تشومسكي [1]: "لنفترض أننا نضفي على الفكر، كسمة فطرية له، نظرية لغوية عامة نسميها بالقواعد الكلية، فهذه النظرية تحدد تنظيم قوانين متفرعا يخصص الهيكلية البنيانية لكل لغة ويقدم تشكيلة شروط ينبغي أن تتقيد بها كل صياغة تضع القواعد على نحو متعمق، وعلى هذا الشكل توفر القواعد الكلية رسما تخطيطيا تتقيد به كل قواعد خاصة بلغة معينة.

الكفاءة والأداء الكلامي:

1- لغة الإنسان ولغة الحيوان:

يقول الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596-1650): "يمكن اعتبار اللغة بمثابة الميزة الحقيقية التي تفرق بين الإنسان والحيوان".

لفت انتباه علماء قدماء كثر مسألة اعتبار اللغة خاصة تميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، واعتبروا موضوع اللغة جد هام، وبذلك قاموا بدراسات متعددة في موضوع كون الإنسان وليد بيئته، وبذلك فاللغة ترتبط بارتباط الإنسان ببيئته في كونها الوسيلة التي يحتاج إليها لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته.

كل طفل سوي في المجتمع قادر على التكلم، وعلى التواصل مع الآخرين، وقادر في الآن ذاته على أن يمشي، وأن يقوم بما إلى ذلك من وظائف، وهذا ما دفع بالبعض للقول إن الإنسان "حيوان ناطق" وهذه هي الملكة التي تميزه عن المخلوقات الأخرى.

[1] المرجع السابق ص 74.

لكن لا يمكن كذلك أن ننفي عدم وجود اتصال بين الحيوانات غير أن التنظيم الاتصالي لدى الحيوان يختلف كميا ونوعيا منه عند البشر[1].

تزامن ظهور اللسانيات التوليدية التحويلية مع ظهور الاتجاه البنياني المتأثر بالمذهب السيكولوجي السلوكي الذي يعتبر أن اللغة كناية عن مجموعة عادات صوتية تتكيف بمثيرات البيئة، هذه النظرية مرتبطة بعنصري المثير والاستجابة، فمتكلم اللغة في رأي السلوكيين يشعر بدافع معين تستثار فيه استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الاستجابة بعامل التفكير.

فهذا المذهب يفرض حصول استجابة كلامية للمثيرات مثلما يحصل عند الحيوان كذلك.

وأهم من يبرز هذا المنهج ليونارد بلومفيلد الذي لا يجد أي اختلاف بين لغة الإنسان والتنظيم الممكن ملاحظته عند الحيوان، رغم إقراره بأن لغة الإنسان تمتاز بتفاضلية أكبر.

فيرى بلومفيلد أن سلوك بعض الحيوانات مثل: (الفأر، الكلب) كناية عن سلسلة من الاستجابات المتتالية، فالأحداث المادية ترتبط مع الكلمات[2].

يرى تشومسكي أن اللغة الإنسانية تختلف اختلافا كليا عن أي تنظيم اتصالي للحيوان، وبهذا يرفض منهج السلوكيين.

استدل العلماء الذين يرون أن اللغة الإنسانية تشبه اللغة الحيوانية، بأن بعض الأصوات الحيوانية لها مقاصد وأهداف وغايات، لكن لا يجب غض النظر عن أن هذه الأصوات تغاير تماما الأصوات اللغوية التي يصدرها الإنسان العاقل، فلا ينبغي مقارنة اللغة الإنسانية بالأصوات الحيوانية من واقع علمي محض.

---

[1] المرجع السابق، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

فالحيوان يصدر أصواتا، وهي مزيج من صرخات للفرح والحزن وطلب العون، مثل: القرود والدلافين التي تؤدي صرخات السرور عندما يطعمها مدربها، وتؤدي صرخات واهنة عندما تحزن وتصدر صرخات أخرى لطلب النجدة.

نعم، تشير هذه الأصوات إلى تنظيم اتصالي تمتلكه بعض الحيوانات، لكنه تنظيم معلق وذلك يعني أن كل صوت ينفرد عن الأصوات الأخرى، وكل منها يرتبط بسلوك معين.

وهناك مثال عن تنظيم اتصالي آخر، وهو لدى طائر "أبو الحسن الأوروبي" بحيث يقوم برفع صوته عند تغريده، وارتفاع صوته يتعاقب ويشير في الآن ذاته إلى مقدار تصميمه على الغناء بصوت مرتفع.

فهذا التنظيم الاتصالي يمتلك إشارات متنوعة مثل التي عند اللغة الإنسانية، لكن الاختلاف يكون في الآلية والمبادئ.

وفي هذا الإطار يقول تشومسكي: "يجب أن نخلص إلى القول بوجود انتظام مختلف بصورة تامة، فحين نؤكد على نحو كيفي شيئا ما في لغة إنسانية، كقولنا مثلا إن المد الحاصل للأجهزة التي تتخطى الدول يكوّن مخاطر جديدة على حرية الإنسان، فنحن لا نختار نقطة ملائمة لمدى ما على طول بعد غير لغوي لما لا نقوم باختيار إشارة في لائحة سلوك محددة أكانت هذه اللائحة فطرية أم مكتسبة".

فاللغة إذًا مثلما يقول الفيلسوف ديكارت هي ميزة إنسانية، نعم يرى بعض العلماء أنه بإمكان الحيوان اكتساب لغة إنسانية معينة، إذا امتلك بعض الذكاء.

لكن هذا الاعتقاد خاطئ، فعقل الإنسان لا تتجلى أهميته في الحجم فقط، بل وفي النوعية والبنية كذلك.

نجد هذه الآراء عند ديكارت حين يؤكد: "أن الحيوانات تفتقر إلى عنصر أساسي كما يفتقر إليه الجهاز الآلي الأكثر تعقيدا، وهذا العنصر هو نوع الذكاء الثاني الذي يتكلم عنه الطبيب الإسباني هيوارت huarte أو القدرة العامة التي تتجلى في استعمال اللغة استعمالا طبيعيا كوسيلة تفكير حرة"[1].

يوضح تشومسكي في مكان آخر نظرة "هيوارت" في هذا المجال فيقول: "بالنسبة إلى هيوارت فإن جذر الكلمة engenio يعني ولد فيربط بينها وبين الكلمات angenero, genere, gigno، وهكذا يلاحظ أن في الإنسان قوتي توليد، إحداهما مشتركة مع الحيوان والنبات، والثانية مشتركة مع الجوهر الروحي: إلا له والملائكة، فالروح ingenio قوة توليدية قوة الاكتساب بالفكر ولها قوة طبيعية الإنتاج والتوليد.

انتقاد بعض المفاهيم السائدة في مجال اكتساب اللغة:

لكون الطفل إنسانا فإنه يتوصل خلال مدة زمنية قصيرة نسبيا لاكتساب الكفاية اللغوية أي المعرفة بتنظيم قواعد بالغ التعقيد يؤهله لتكلم اللغة.

ولكي نصل إلى ملخص الموضوع وهو أن الطفل ينقل لغة بيئته ويحاكيها إلى أن يتوصل إلى الإلمام بها، وهذا يعني أن ذهن الطفل بمثابة صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة.

يعتبر[2] السلوكيون أن عملية اكتساب الطفل اللغة شكل من أشكال السلوك الإنساني، وتتدرج ضمن إطار نظرية التعلم، ولذلك يرون أنه لا وجود للاختلاف بين مسار تعلم اللغة، وتعلم أي مهارة سلوكية أخرى.

---

[1] المرجع السابق، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

في هذا الإطار يكتسب الطفل الفنولوجيا، بتحويل الأصوات العفوية الصادرة عنه إلى الفونيمات، وذلك عن طريق تعزيزها وتدعيمها مثل الأصوات الصادرة عن الكبار.

فالاستجابات اللفظية تتولد عبر المثير أو الحافز الفيزيائي وتتعزز خلال محاولات الطفل التلفظ بها.

ولا يتلقى الطفل التعزيزات الإيجابية إلا في حال قيامه بالاستجابة الكلامية الصحيحة وتتقدم عملية اكتساب اللغة بقدر ما تتوفر الاستجابات الصحيحة هذه وتتعزز.

يكتسب الطفل ما يسمعه في بيئته، وأيضا معاني الكلمات وكذلك القواعد التركيبية عندما يتعلم ترتيب الكلمات الترتيب الصحيح في الجمل.

مجمل القول أن السلوكيين يقولون إن الطفل الذي هو في نظرهم مزود بإستراتيجية عامة للتعلم يقوم تحديدا بالعمل التالي: يتعلم ماذا تعني كلمة ماما، ومن ثم كلمة حليب، وبعدها كلمة لعبة، إلى أن يتعلم معنى الكلمات المبهمة ككلمة فكر، وكلمة فرح.

ينتقد تشومسكي هذه النظرة إلى عملية اكتساب اللغة وفي هذا الصدد يقول:"[1]أعتقد أن دراسة مسائل الفكر قد غرقت نهائيا في نوع من الأولية تعالج بها هذه المسائل، ويبدو لي بصورة خاصة أن الفرضيات التجريبية التي سيطرت على دراسة اكتساب المعرفة خلال سنين عديدة قد تبناها البعض من دون أي تبرير ويبدو لي أنه لا دور خاصا بها ضمن الاحتمالات المتعددة التي يمكن تصورها فيما يختص كيفية عمل الفكر".

إن تشومسكي يرفض الاقتناع بأنه بإمكان الطفل أن يقوم بإنتاج الجمل المحتملة التي تندرج ضمنها تراكيب كلامية لم يسمعها من قبل، والتي لا يمكن التكهن باحتمال ورودها في الكلام لأن الحياة فيها لو صحت توقعات وآراء السلوكيين، لأصبحت صعبة التحقيق.

[1] المرجع السابق، ص 52.

إن الأبحاث الألسنية المطورة لا تدعم هذه النظرة إلى اكتساب اللغة على حد قول تشومسكي: "[1]أما بالنسبة إلى الإدعاء بأن اللغة ليست فقط مكتسبة، وإنما يزود بها الإنسان نتيجة عملية تعليم أساسية لإقرار معاني التعابير اللغوية، فهذه النظرة لا تلقى أي دعم في المجال التجريبي أو في المجال المفهومي".

ثورته على المدرسة السلوكية:

1- رفض الآراء السلوكية من الناحية السياسية والاجتماعية:

نحن نعلم أن رأي المدرسة السلوكية هو أن الإنسان عبارة عن صفحة بيضاء مصقولة، وهذا معناه أن كل ما يقوم به محدد منذ ولادته، وهذا بكلماته الوراثية وبتاريخ تعزيز المثيرات، وهذا الرأي انتقده تشومسكي كثيرا وقال عنه في مختلف مؤلفاته أنه جد خطير، ويعتبره كذلك لأنه يوضع كأنه قانون صارم، فبما أن المواطن يعلم أن سلوكه نتيجة الشروط الوراثية أو الشروط المحيطة به، فأين له أن يعترض أو يقول عكس ذلك، وكل سلوكه مرسوم من قبل العلماء، والمفكرين، وهذا يؤدي إلى فقدان المواطن لحريته في التصرف وفي تقرير مصيره، ومصير بلاده[2].

ينتقد تشومسكي كثيرا وبشدة علم النفس السلوكي، لأنه يرى هذا العلم نوعا من أنواع العنصرية وممارسة السيطرة على الشعب من قبل طبقة المثقفين أو ما تسمى بالأنتلجنسيا، فهؤلاء يحولون الإنسان إلى آلة، فالسلوكيون يقومون بإجراء اختبارات على الحيوانات ثم يطبقونها على البشر.

---

[1] المرجع السابق، ص 54.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعلم اللغة، ص 5.

وللعنصرية مثال في القرن التاسع عشر وهو الشعب الصيني الذي كان يوصف بأنه أدنى مستوى من بقية الشعوب[1].

وقال تشومسكي في هذا الخصوص في كتابه: "من أجل أسباب تتعلق بالدولة" إن هذا الرأي مجرد مزاعم العنصرية. ويتحدث فيه كذلك عن ارتباط الفلاسفة التجريبيين بالاستعمار، وقدم مثال لوك الذي جسّد ارتباط الفلسفة التجريبية بالاستعمار في انجلترا.

ومن هنا نصل إلى نتيجة هي أنه في ظل الآراء السلوكية والتجريبية، يسهل تقبل الآراء العنصرية، فالإنسان مثله مثل غيره لا يوجد تمييز عنصري بينه وبين غيره، وبين أسود وأبيض، والفكر والنفس كذلك لا لون لهما[2].

2- رفض الآراء السلوكية من الناحية العلمية:

يرى تشومسكي أن المصطلحات التي تخص السلوكية كالمثير والاستجابة، وتعزيز الاستجابات كلها مفاهيم ليست بعملية ولا بموضوعية، ولا فائدة لها في الواقع[3]، فليس بإمكان هذه المفاهيم حسب تشومسكي تحليل القدرات الإنسانية المتعلقة بالذات البشرية، ولا تحليل القدرة اللغوية كذلك، [4]فحسبه، لكل إنسان معرفة ضمنية للقواعد، ولا يمكن اعتبار الاكتساب اللغوي للطفل نتيجة تأثير المحيط عليه.

يرى تشومسكي أن المفاهيم سابقة الذكر تحدد بصورة دائرية، وليست ذات أهمية علمية على مستوى الوصف، وبالتالي لا يمكنها تحليل القدرات الإنسانية، وبالأخص القدرة اللغوية.

---

[1] المرجع السابق، ص 13.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية، ص 20.

[4] ميشال زكريا، الألسنة التوليدية وقواعد اللغة العربية، ص 22.

فمن بين المنجزات الإنسانية توجد: الشعر، الأدب، العلم، فتقول المدرسة السلوكية إن المحيط الخارجي للإنسان هو الذي يحدد صفاته، بحيث يتصف بالرحمة أو الحكمة أو غيرها من الصفات، فإذن للبيئة المحيطة تأثيرات على الشعور والمعرفة واللغة أيضا[1].

نصل إلى أن المفاهيم السلوكية ليس لها فائدة، ويرى السلوكيون أن السلوك الإنساني يتم وصفه من خلال السلوك الإنساني وحده، وأيضا يتم الجمع بين المثير والاستجابة من خلال اجتماع الوحدات اللغوية الموجودة في المدونة الكلامية.

وقد انتقد تشومسكي الرأي السلوكي بأن الجمل لا يمكن أن تحلل في علم النفس أو السيكولوجيا، لأن هذا العلم لا يدخل في كيفية نظم الجمل وإنتاجها بحيث يصل تشومسكي إلى أن رأي المذهب السلوكي خاطئ هنا من الناحية الفلسفية، ولا يدعم من جانب علم النفس[2].

فالطفل يكتشف بقدراته الخاصة كيف ينظم القواعد اللغوية الضمنية، وهكذا يستطيع أن يتكلم بلغته الخاصة.

من هنا فإن الطفل بإمكانه تعلم أية لغة إنسانية شرط أن يمتلك القواعد الكلية ونعني بها الأشكال المشتركة بين كل اللغات، ويصعب كثيرا على الطفل أن يكتسب اللغة ما لم يمتلك القواعد عندما تجد المثيرات الملائمة لذلك[3].

ينتقد تشومسكي المذاهب السلوكية من منطلق علمي وعقلاني محض ويتلاءم تحليله كثيرا مع دراسة اللغة واكتسابها، ونتيجته أن اللغة ليست عادات كلامية، بل لها قواعد وأسس، وتدرس من جوانب متعددة علمية فلسفية، نفسانية ولها خصائص مميزة.

---

[1] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغات، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] نفسه، ص 157.

وهذا ما يقول عنه إن الاكتساب اللغوي عند الطفل ليس بتأثير المحيط عليه، وهكذا حاول وضع قواعد لكل اللغات[1].

عملية اكتساب اللغة والبنى العقلية الفطرية عند تشومسكي:

يرى تشومسكي أنه، لكي نتمكن من فحص الآراء النظرية القديمة، ولتطوير المفاهيم الألسنية الجديدة[2]، يجب أن نتخذ موقفا مناقضا لآراء السلوكية التجريبية، التي تقول إن الاكتساب اللغوي يتم بتأثير المحيط على الطفل.

وهذه الأفكار تشبه إلى حد بعيد الأفكار الفطرية في نظرية ديكارت الفلسفية، فالاعتقاد بأن اكتساب اللغة عن طريق اختبار الجمل محتملة الوجود في اللغة هو اعتقاد خاطئ، وهذا رأي النظرية التوليدية التحويلية، فتشومسكي يميز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، واللغة في النهاية هي بذاتها كفاية لغوية، وأيضا اكتساب اللغة عادة يتعلمها الطفل الصغير، ولا توجد قدرة عقلية فطرية معدة لاكتساب اللغة[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 15.

[2] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت سنة 1982، ط 1، ص 156.

[3] المرجع السابق، ص 156.

الفصل الثالث

أوجه التشابه بين رأي بياجي ورأي تشومسكي:

توافق النظرية التوليدية التحويلية النظرية السلوكية في الرؤية القائلة إن الإنسان كائن ثقافي، يشكله المجتمع والخبرة والتعلم.

جمع بياجيه بين رأي تشومسكي ورأيه هو في كون مقدرات الإنسان ليست فطرية كليا ولا مكتسبة كليا، رغم أنه في الأساس لا يوجد أي أوجه تشابه حقيقية بين النظريتين في اكتساب الطفل للغة.

المقارنة بين أسس نظرية تشومسكي وأسس نظرية بياجيه:

يملك بياجيه في نظريته ما يزيد عن أربعة وثلاثين أساسا، بينما تشومسكي لديه ثلاثة أسس لا أكثر، والسبب راجع على الأرجح إلى أن تشومسكي رياضي بالدرجة الأولى، وتفكيره رياضي ونظرته جد دقيقة وشبه رياضية على حد قول المهتمين بعلم النفس اللغوي.

مجمل المصطلحات المستعملة عند تشومسكي رياضية دقيقة علمية ومعقدة، بينما مصطلحات بياجيه لها علاقة بعلم النفس المعرفي.

فالنفس البشرية أصعب شيء للدراسة، لأنها غاية في التعقيد والتشابك.

وهناك فرق كذلك في المصطلحات النفسية بين النظرية التوليدية والتحويلية والنظرية السلوكية ويتضح ذلك فيما يلي:

مقارنة بين المصطلحات النفسية فيهما:

النظرية التوليدية التحويلية تشومسكي	النظرية السلوكية بياجيه
1) الكفاءة والأداء	1) الذكاء
2) الاستعداد	2) الاستراتيجيات
3) الحدس	3) التكيف

4) المهارة 5) الإبداعية 6) القدرة 7) النحو العالمي	4) التمثيل 5) المواءمة 6) التنظيم 7) الأبنية العقلية 8) التوازن

أوجه الاختلاف:

لطالما كانت اللغة مشكلة عويصة، لم تواجه علماء اللغة وعلماء النفس فحسب، بل علماء الاجتماع والمتخصصين في علم الأجناس وغيرهم أيضا، فإذا ما اطلع عالم النفس بشكل خاص على ذلك التعقيد الموجود في اللغة، سارع إلى إعادة النظر في الفرضيات والنظريات السابقة عن كيفية اكتساب الطفل للملكة اللغوية.

يقوم عالم النفس بالولوج في النفس البشرية محاولا أن يكتشف خباياها وأسرارها، ويحاول أن يعلل سبب تعلم الطفل ابن الرابعة للغة الأجنبية في حين لا يتمكن الراشد من ذلك. ويقوم اللسانيون كذلك بدراسة لغة الطفل ويحاولون تقصي حقيقة اكتساب اللغة عند الطفل، فهل اكتسابها على أساس فطري أم يعتقد على البيئة والتعلم؟

الدراسة المقارنة بين نظرية تشومسكي ونظرية بياجيه في موضوع الملكة اللغوية وآليات اكتسابها عند الطفل:

أولا يصنف بياجيه نفسه بأنه بنائي، بينما يضع تشومسكي نفسه ضمن الفئة الفطرية.

يرى تشومسكي أن الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء، بل يولد مزودا بقدرة خاصة تمكنه من تعلم اللغة، ويحاول أن يضع ما يسمعه من ألفاظ اللغة التي يعيش بين أهلها في القوالب العامة، ومن ثم فالطفل لا يكون عنصرا يقتصر دوره على التلقي والأخذ والتقليد،

وإنما يمثل عنصرا إيجابيا يستخدم قدراته العقلية (الإبداعية) أثناء اكتسابه للغة، وتوليد نماذجه المختلفة، ولقد ميز بين القدرة والأداء الفعلي المقابل عند دي سوسور اللغة والكلام.

ويعتبر تشومسكي اللغة ملكة أو مهارة مفتوحة النهايات، وكل من يستطيع استخدامها يمكنه أن ينتج ويفهم جملا لم يسبق له استخدامها، أو سماعها من قبل، ويستطيع الطفل من خلال إتقانه للقواعد التي تحكم لغته أن يولد تراكيب لغوية خاصة به، وأن يفهم كلام الآخرين.

[1]فحسب تشومسكي، هناك كفاءات عقلية فطرية، مسجلة في دماغ الإنسان، تفسر بشكل خاص مقدراته اللغوية الشمولية، بينما أكد بياجيه أن مقدرات الكائن البشري الاستغراقية ليست فطرية كليا، ولا مكتسبة كليا، إنما هي نتاج تدريجي تتحد فيه الخبرة والنضج الداخلي.

[2]يقول بياجيه في نظريته: لا يعمل التفكير عند الطفل عبر تسجيل بسيط لمعطيات مثلما يفترض التجريبيون، فمن أجل فهم الواقع تلزمه أطر عقلية، لكن هذه الأطر العقلية ليست فطرية، يبنى التفكير على مراحل من الذكاء الحسي– الحركي، حيث يؤدي الفعل دورا هاما، إلى مرحلة العمليات العقلية الصورية التي تنبثق خلال المراهقة، ويقول إنه يعتبر أن المقدرة اللغوية المحددة وراثيا هي أحد مكونات الذهن البشري، بينما تعرض تصورات تشومسكي في أن الطفل يطور كفاءة خاصة من أجل أن يتمكن من قواعد اللغة (النحو)، بحيث يكتشف العلاقات بين الكلمات، ومجموعات الكلمات، يشكل الأطفال جملا صحيحة نحويا، بحيث يفهم أطفال العالم العلاقة بين المسند إليه (الكلب) مثلا، والمسند (ينبح).

---

(1) M Piattelli, palmarimi, théorie de l’apprentissage le débat entre Jean Piaget et Noan Chomesky, points seuil 1979 read 1982.

(2) www.5atub.com

يرى تشومسكي أن تطور اللغة شبيه بتطور الرؤية، هناك في الدماغ مراكز متخصصة تعنى برؤية الألوان والأشكال والحركة.

تتطور لياقات التمييز هذه بالنضج المتدرج خلال الأسابيع الأولى من الحياة، إذ نصبح قادرين بالفعل على تعيين هذا الشيء أو ذاك، فإن الأجهزة العقلية التي تتيح الرؤية هي فطرية وعالية التخصص، ويقول كذلك إننا نتعلم بالطبع وفقا للثقافات، قواعد تترك تأثيرات هامة في الوسط العلمي، يمكن أن ينسحب الشيء نفسه على اللغة النحو والمفردات والكلمات الخاصة، ولكن يحدث ذلك كله على أساس مقدرة فطرية على تنظيم هذه العناصر فيما بينها.

أما بياجيه فيعارض فرضية تشومسكي (على أساس مقدرة فطرية) بنموذج آخر مختلف، فيقول إن كانت اللغة تظهر في نحو السنة من عمر الطفل، فليس ذلك من خلال نوع عارض من النضج الداخلي فقط، يكون ظهورها قد تهيأ عبر عدة مراحل من نمو الطفل الذهني. إن الوصول إلى اللغة مشروط بالذكاء الحركي، يحدث ذلك خلال السنتين الأوليين من الحياة، يتيح التلمس البدني التجريبي للطفل أن يكتشف الأشياء، حتى يبلغ أخيرا القدرة التجريدية، والتمكن من اللغة هو إذًا تعبير عن ذكاء عام يتطور على مراحل، فلا يمكن بلوغ الفئات التجريدية إذا لم يكن الحسي موجودا قبل ذلك، يتكون المنطق الذي يشكل أساس المقدرات التنظيمية للغة على شكل جمل، من البسيط إلى المركب، من الحسي إلى التجريدي قدرة تجريدية أحد تعبيرات اللغة.

يستبدل بياجيه هذه الفرضية بنموذج آخر مختلف وهو، أنه إن كانت اللغة تظهر في السنة الثانية من العمر، فليس ذلك من خلال نوع عارض من النضج الداخلي فقط، يكون ظهورها قد تهيأ عبر مراحل من نمو الطفل الذهني، فالوصول إلى اللغة مشروط بالذكاء الحركي.

يرى سكينر أن الأفراد يتكيفون مع وسطهم إذا تغيرت الظروف المناخية[1]، ويوافقه بذلك بياجيه، فالكائنات الحية تحول أجسادها ولكن ليس على نحو مضبوط، يمكن للعضو أن يتغير إذًا كي يستجيب لحاجة ما، عدا ذلك فإن هذا التحول قابل للتوريث للنسل أي توريث الخواص المكتسبة.

ويرى تشومسكي أن الدماغ مزود يبنى قواعد فيما تستند إلى طرق مستخدمة حديثا تتيح الكشف عن شمولية اللغة.

الفرق بين النظريتين في الهدف:

الفرق بين النظرية التوليدية التحويلية والمدرسة السلوكية يكمن كذلك في الهدف، فهدف النحو التوليدي هو الكشف عن تلك القواعد العميقة التي تحكم اللغة، هذه النواة الثابتة، المرتكزة إلى الخاصيات المنطقية، التي ينبغي للطفل أن يتمكن منها كي يستطيع فهم الجمل وإنتاجها، وهذه الخاصيات تكتسب بين عمر 2 و5 سنوات، وشمولية هذا الاكتشاف يكسب الأطفال جميعا اللغة، فالأمر يتعلق هنا بمقدرة فطرية.

[1] Noam chomsky, le language et la pensé (1968)parfois

[1] ما بين سنة (1744–1829)

خاتمة

خاتمة

وفي نهاية دراستنا هذه، تجدر الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال مشوار بحثنا وهي كما يلي:

أن كل العلوم مرتبطة ببعضها البعض، وكل منها يخدم الآخر، وموضوعنا هو علم النفس وعلم اللغة، وإجراء مقاربة بين علمين من علماء النفس وعلماء اللسانيات، فترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس إلى طبيعة اللغة بوصفها أحد مظاهر السلوك الإنساني، فإذا كان علم النفس يدرس السلوك الإنساني عموما، فإن دراسة السلوك اللغوي أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس.

يعد تشومسكي أحد أقطاب موضوعنا هذا وهو الأب الروحي للنظرية التوليدية التحويلية الحديثة، فاللغة في رأيه ظاهرة بالغة التعقيد. كل من بياجيه وتشومسكي تحدثا في مقامات عديدة عن الملكة اللغوية وآليات اكتسابها لدى الطفل، فتشومسكي يرى أن الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء، بل يولد مزودا بقدرة خاصة.

بينما أكد جون بياجيه أن مقدرات الكائن البشري ليست فطرية كليا، ولا مكتسبة كليا، إنما هي نتاج تدريجي تتحد فيه الخبرة والنضج الداخلي وتدخل عامل البيئة.

فإذًا يمكن اعتبار رأي بياجيه كتركيب لرأي تشومسكي، إذ وافقه بأن اللغة فطرية لكن ليس كليا، بل لها جانب مكتسب.

لكن هذا لا ينفي أن كثيرا من الغربيين امتدحوا جهود تشومسكي في اللغة ومنهم "بالمر" الذي يقرّ بأن نظرية تشومسكي هي أكثر النظريات اللغوية أثرا في الوقت الراهن.

لكن هذه الجهود والافتراضات لقيت نقدا من قبل رجال علم النفس اللغوي.

وأظن أخيرا أن رأي تشومسكي هو الأرجح، لأنه الأقرب إلى العقل البشري من رأي بياجيه، لكن الأنسب والملائم لاكتساب اللغة هو التركيب بين رأي تشومسكي وموقف بياجيه.

ويمكن أن نقول في الختام إن النظرية السلوكية عند بياجيه هي الأساس الذي بدأ به تشومسكي نظريته.

وبما أن بياجيه يهمل الجانب الإبداعي من شخصية الإنسان، فإذن النظرية المتداولة والمعترف بها هي نظرية تشومسكي، نعم الطفل الصغير لديه قدرات مزود بها منذ طفولته، ولكن هذا لا ينفي وجود الجانب الإبداعي من شخصيته، فالطفل الصغير ليس مجرد آلة على حد قول بياجيه، ويمكن أن نستدلّ على ذلك بمثال سياقة السيارة، حيث يلقن معلم السياقة المرشح أمورا مثل كيفية القيادة لكن ليس كليا، حتى يقود الإنسان وهكذا يتعلم أشياء لوحده ويتعرف عليها وهذا ما يسمى إبداعا.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع والمصادر:

ـ جون لينر، نظرية تشومسكي اللغوية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، سنة 1985.

ـ رافع النصير الزغلول، عماد عبد الرحيم الزغلول (2003) علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

ـ عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي (النظرية والتطبيق)، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

ـ ميشال زكريا (1982) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت

ـ ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1982، ط1.

ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة المجلس الوطني للثقافةو والفنون والآداب، يناير 1979.

ـ يحيى بن عبد الله الرافعي، نظرية بياجيه في النمو المعرفي، برنامج الدكتوراه في علم النفس التربوي والتعلم، جامعة أم القرى.

- unecriv@net.sy
- www.awn-dam.org
- aru@net.sy
- M Piattelli, palmarimi, théorie de l’apprentissage le débat entre Jean Piaget et Noan Chomesky, points seuil 1979 read 1982

فهرس

فهرس

العنوان **الصفحة**

- مقدمة.....1
- مدخل.....4
- تعريف علم اللغة (اللسانيات) 4
- تعريف علم النفس.....5
- علاقة علم اللغة بعلم النفس.....6
- تمهيد.....9
- أهمية اللغة ومسألة اكتسابها عند الإنسان، والعلوم المتعددة التي خاضت فيها.....9

الفصل الأول: نظرية بياجي في تعلم اللغة عند الطفل

1) نبذة عن حياة بياجيه.....12
2) أساسيات نظرية بياجيه.....13
3) المصطلحات الرئيسية في نظرية بياجيه. 20

الفصل الثاني: نظرية تشومسكي في تعلم اللغة عند الطفل

1) اللسانيات ونظرتها إلى اكتساب اللغة (الملكة اللغة) عند تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية.....24
2) حياة نوام تشومسكي ومؤلفاته.....25
3) مفهوم الفطرة اللغوية عنده.....26
4) أسس النظرية التوليدية التحويلية.....26
5) المصطلحات النفسية.....27
6) نمو الطفل اللغوي.....28
7) القواعد الكلية عند تشومسكي.....31

8) الكفاية والأداء الكلامي.....32

9) انتقاد بعض المفاهيم السائدة في مجال اكتساب اللغة.....35

10) رفض الآراء السلوكية من الناحية السياسية والاجتماعية.....37

11) رفض الآراء السلوكية من الناحية العلمية.....38

الفصل الثالث

1-أوجه التشابه بين نظريتي بياجي وتشومسكي في تعلم اللغة.....42

2-الفرق بين أسسهما.....42

3-مقارنة بين المصطلحات النفسية فيهما.....42

4-أوجه الاختلاف (المضمون) 43

5-الفرق بين النظرتين.....46

- خاتمة.....48
- قائمة المصادر والمراجع.....51

فهرس.....53